السيميائيات/ السيميولوجيا
قراءة في المفهوم والمصطلح

أ. مولاي مدقدم
جامعة يحي فارس المدية – الجزائر

ملخص:

تحاول هذه الورقة التطرق الى المنهج السيميائي كمنهج من مناهج قراءة النصوص واستقرائها كبديل اجرائي عن المناهج السياقية التي قاربت النص الأدبي ردحا من الزمن ثم ما لبثت أن اختفت أمام المناهج النسقية التي اهتمت بدورها بداخل النص والمعنى الذي يؤديه ولعل من هذه المناهج المنهج السيميائي الذي نصبوا الى الإحاطة ببعض جوانبه ممثلة في الاشارة الى من كان لهم قصب السبق في هذا المجال ثم الى جانبه المفهومي كوافد جديد على الثقافة العربية بداية بقضية ترجمة مصطلحات النقد السيميائي التي عرفت جدلا واسعا في النقد العربي وهو ما جعلها تأتي في صدارة البحث الأدبي العربي.

الكلمات المفتاحية:– السيميائيات– المناهج النسقية– النقد السيميائي

Abstract :

We try trough this paper to deal with the semiotic approach as a method of reading and inducting texts as an alternative for the contextual approaches that have studied the literary text for a period of time and then disappeared for the development of the systemic methods that focused on the text structure and meaning.

The semiotic approach may be one this approaches that we try to cover some of its aspects referring to its conceptual side as a new arrival on the issue of Arab culture, starting with the translation of the semiotic criticism terms that had an extensive debate in Arabic criticism, the thing which makes it at the forefront of Arab literary research.

Key words- : Semiotics- Systemic approaches- Semiotic criticism.

إن المطّلع على المناهج النقدية الحداثية الغربية يجد أنها سعت جاهدة كلها متضافرة أو كل على حدة من أجل استشراف معنى النص الأدبي، والبحث عن مقصدية الكاتب واستقراء الظواهر الفنية، كما يجد أنها ولجت الساحة النقدية العربية تباعا، فكانت المناهج السياقية(تاريخية- نفسية- اجتماعية) التي وإن استطاعت أن تقارب النص الأدبي إلا أنها كما يرى بعض النقاد حملت بذور فنائها في طياتها ذلك أنها تنطلق من مواقف أيديولوجية ثابتة وجامدة في بعض الأحيان وتغرق النص بمفاهيم قد تشله وتهتم بالمبدِع بمعزل عن المتلقي، كما تحرص على تقديس تاريخ الأفكار وتاريخ الإبداع الفني ومصادر الإلهام والمؤثرات على اختلافها وهذا ما يجعل منها شبكة من الأصول المتماشجة في غير تجانس)[1] ثم تلتها المناهج النسقية (شكلانية – بنيوية- أسلوبية- تفكيفكية – سيميائية)؛ حيث " تحولت القراءة النصية النقدية من قراءة أفقية معيارية " سياقية " إلى قراءة عمودية متسائلة " نسقية " تحاول سبر أغوار النص لا غير مبتعدة عن مقارباته من خلال السياقات التي أحاطت به يوم إنتاجه وبذلك أصبحت المعالم النصية (البنى) للمادة الحقل الأساسي للقراءة لكن لم يكن لهذا التغيير أن يتحقق إلا بفعل الثورة التي أحدثتها اللسانيات الحديثة وتأسيسها لأسس جديدة في طرائق التعامل مع النص فأقصت الخارج وقراءاته السياقية (التاريخية، النفسية، الاجتماعية)، وأخذت بالقراءة النسقية فمجّدت الداخل على الخارج " [2] .

[1] عبد الملك مرتاض : مدخل في قراءة البنيوية مجلة الموقف الأدبي ، العدد 342 1999 ص 12. وانظر أيضا ابراهيم خليل المثاقفة والمنهج في النقد الأدبي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمّان ط 1، 2010.ص 12.

[2] محمد بلوحي : القراءة النسقية ، مجلة كتابات معاصرة العدد 39 المجلد (10) ،1999،ص80

يرجع بعض النقاد دخول هذه المناهج الى الساحة النقدية العربية لمجموعة من الأسباب متضافرة نذكر من بينها على سبيل التمثيل: المثاقفة والترجمة والاحتكاك مع الغرب عن طريق البعثات العلمية [1].

ولعل من المناهج النقدية التي عرفت حضورا واسعا في الخطابات النقدية العربية المنهج السيميائي الذي أصبح من المناهج التي لا يمكن الاستغناء عنها بشكل من الأشكال لما أثبته من نجاعة – في مجال الحقل الأدبي وغيره من المجالات– تكاد تكون قطعية وفي مختلف التخصصات.

إن الباحث في هذا المجال قد تواجهه صعوبات جمة يظهر أولها في إشكالية ضبط المصطلح" السيميائية" و" السيميولوجيا "والتفريق بينهما إن كانت هناك فروقات، ولو أننا نعترف مسبقا بعجزنا أمام إعطاء تعريف جامع مانع محدد ودقيق وذلك لسبب بسيط وهو أن أي " محاولة للتعريف، لابد لها أن تصطدم بتعدد وجهات النظر في تحديد هوية هذا الحقل المعرفي تحديدا قارا، خصوصا إذا أدركنا الحيّز الزماني الذي يستغرقه وهو حيّز قصير"[2] وهي ميزة خاصة بحقل الأدب خصوصا والعلوم الإنسانية عموما لالتصاق الدارس بالمدروس .

[1] ينظر: شكري عياد ، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين – عالم المعرفة العدد 177- . 1993. ص200

[2] عبد الرحمن جيران (مفهوم السيميائيات) الحوار الأكاديمي والجامعي ، العدد 01 ، السنة 1 يناير 1988، ص 07

السيميولوجيا / السيميائية، قراءة في المفهوم :

تحاول المناهج النقدية أن تكشف عن وسيلة من وسائل التواصل بين البشر منذ القدم ذلك أن " الدراسات اللغوية اختلطت منذ القدم بالممارسات الفكرية "[1]، هذه الدراسات التي يرى كثير من الدارسين أنه كان لها عظيم الاثر في ظهور علم العلامة أو السميولوجيا، فقد كان **دي سوسير** De Saussure أول من بشّر بهذا العلم وتنبأ له بمستقبل زاهر، يقول محمد السرغيني أن " المشروع السيميولوجي تأسس على رؤية سوسيرية وكان منحصرا في اللغة لا يتجاوزها الى النطاق المعرفي للعلوم الانسانية ومنها السيميوطيقا وجميع الأنساق الدالة، ويعتبر هذا المشروع في إطار نظرية الابلاغ عبارة عن تطبيق آلي لأنماط العلاقات اللغوية ومن هنا بدا وكأنه ملحق بالألسنية " [2].

بل إننا لا نكاد نتفحص أشهر مؤلف من مؤلفات **سوسير**(Saussure) نفسه حتى نجده يعلنها صراحة إنه " يمكننا أن نتصور علما يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية، علما قد يشكل فرعا من علم النفس الاجتماعي وبالتالي فرعا من علم النفس العام وسوف نسمي هذا العلم بالسيميولوجيا(sémiologie) الإغريقية وتعني (الدليل)، ومن شأن هذا العلم أن يطلعنا على كنه هذه الدلائل وعلى القوانين التي تحكمها، ولأن هذا العلم لم يوجد بعد، فإنه لا يمكننا التكهن بمستقبله، إلا أن له الحق في الوجود وموقعه محدد سلفا. إن اللّسانيات ليست سوى

---

[1] رشيد بن مالك ، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي، انجليزي، فرنسي)، دار الحكمة الجزائر 200، ص 170.

[2] محمد السرغيني محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، ط1 1987، ص 06.

فرع من هذا العلم العام، والقوانين التي ستكشفها السيميولوجيا ستكون قابلة لأن تطبق على اللسانيات"[1] .

ما يلاحظ على كلام **دي سوسير** هو أن الألسنية أو اللسانيات هي عبارة عن جزء معين من جزء عام هو علم العلامة أو أن السيميائيات تحوي اللسانيات وهو ما يجهر به صراحة في موضع آخر، حين يعترف بأفضلية السميميولوجيا على اللسانيات؛ حيث " اللسانيات هي دراسة اللغة الانسانية بمعناها العادي إذ ليست سوى جزءا من هذا العلم العام الذي يختص بدراسة كل انظمة العلامات (اللّسانية وغير اللّسانية)، بحيث أن القوانين التي قد تكشف عنها السيميولوجيا أو نتوصل إليها هي صالحة وقابلة للتطبيق على اللغة نفسها "[2] وبطبيعة الحال، فإن ما يدخل تحت كلمتي اللسانية وغير اللسانية هو اللغة أولا باعتبارها علامة لسانية ثم الإشارات والعلامات الدالة في الحياة والتي تؤدي معنى معينا.

بذلك، فالحقل الأدبي – بشكل خاص– مدين لدي **سوسير** بهذا الطرح لكنه لم يقف في حدوده بل تعداه لتبيان مفاهيم هذا العلم حيث استطاعت السميائيات أن " تتجاوز قضايا الطرح التاريخي والنقد الموضوعاتي، وكشفت القناع عن سلطة المرجع وتهافت أسبقية المعنى، وكشفت الأقنعة المتعددة التي

---

[1] محمد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلة "عالم الفكر"، الكويت مج 24، ع 3،1996، ص،191 وانظر للاستزادة، فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، ومجيد النصر ،المؤسسة الجزائرية للنشر 1986، ص 354

[2] زبير دراقي محاضرات في اللّسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائري دت، ص 99.

اختفت خلفها هذه السلطة، وهي أقنعة تمتد من الإيديولوجيا الفجة إلى أدق أنواع الأحكام الجمالية والأخلاقية "[1].

يمثل الطرح التاريخي والنقد الموضوعاتي ما أشرنا اليه سابقا من مناهج نقدية حاولت أن ترصد المعنى من خلال آليات معينة غير أنها لم تكن دقيقة البتة في أحكامها القيمية التي غالبا ما تخضع لهوى معين أو تخدم نزعة أيديولوجية معينة قد تضر بالأدب أكثر ممّا تنفعه.

غير أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال حصر النشاط السيميائي بشكل خاص والعلاماتي بشكل عام في نطاق جغرافي معين أو في زمان محدد ذلك أن التجارب بينت أن لكل أمة علاماتها الخاصة بها في تعاملاتها اليومية وقد تشترك مع أمم أخرى في نفس العلامات وهو الشيء الذي دفع ناقدا متمرسا كعبد الواحد المرابط ليصدر حكمه بأنه" لا يخلو التراث الفكري لأي شعب متحضر من تصورات سيميائية ولعل ذلك يتضح أكثر عندما يتعلق الامر بالتراث العربي، لاسيما وهو تراث قائم في الأساس على تفكير لغوي بلاغي "[2]، غير أننا نختلف معه في قضية استقبال هذه العلامات حيث لكل أمة جهازها الاستقبالي الخاص، فما يفهم هنا بأيسر الطرق قد يحتاج هناك الى عناء حتى يفهم.

إن هذا الاتساع في الرقعة الجغرافية واختلاف الأجناس البشرية جعل هناك أتساعا آخر على المستوى السيميولوجي نفسه الذي أصبح " مجالا واسعا، لا

---

[1] ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الادبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2002،03، ص 184.

[2] عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب ،من أجل تصور شامل ،منشورات الاختلاف، الجزائر 2010، ص30.

تملك أي معالجة له أن تكون شاملة ،إذ توجد في السيميائية مدارس فكرية مختلفة، ويغيب بشكل ملفت إجماع المنظرين المعاصرين حول اتساع مجال السيميائية وأفاهيمها الأساسية وأدوات التحليل فيها "[1] وعليه توسعت مفاهيم السيميائيات نفسها أيضا بحسب تفكير كل مفكر أو مدرسة فكرية معينة .

لقد حاول **بيرس (Peirce)** تتبع السيميائية عبر مراحل متعددة الى أن وصل إلى أن " العلامة أو الماثول شيء يعوض بالنسبة إلى شخص ما شيئا ما بأي طريقة وبأي صفة، إنه يتوجه الى شخص لكي يخلق عنده علامة موازية* أو علامة أكثر تطورا، إن هذه العلامة التي يخلقها يطلق عليها مؤولا للعلامة الأولى، إنها تحل محل شيء، موضوعها ، إنها تحل محله لا من خلال كل مظاهره بل من خلال فكرة أطلق عليها **عماد** الماثول "[2]، بمعنى ما يمثُل أمام الانسان من صور ووقائع قد تستحضر لاحقا حتى في غيابها تصوريا، وبالتالي لا يمكن بأي حال من الأحوال اقصاء العلاماتية من أي مجال من المجالات الحياتية، فلم يكن بإمكانه على الاطلاق أن يدرس شيئا، الرياضيات، الأخلاق، الميتافيزيقا، الجاذبية، الديناميكية الحرارية، البصر، الكيمياء، التشريح المقارن، الفلك، علم النفس،

---

[1] تشاندلر دانيال، أسس السيميائية، تر طلال وهبة، مراجعة، ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2008، ص 22.

* يقصد هنا بالعلامة الموازية ما يوجد في ذهن الانسان من أفكار وصور وأشكال مكتسبة سابقا تكون قابلة للاستحضار متى ما اشير اليها من ذلك مثلا لفظة النار حيث هي المؤول للعلامة الأولى – صورة النار –

[2] سعيد بنكراد، السيميائيات النشأة والموضوع، عالم الفكر، العدد 3 مارس 35، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير / مارس 2003 ص 34/ 35.

الصوتيات، الاقتصاد، تاريخ العلوم، الرجال، النساء، النبيذ، وعلم المقاييس والموازين إلا بوصفه دراسة علاماتية "[1].

يسعى **بيرس** بهذا الطرح الى " تطبيق نظريته العامة على كل العلامات، وقد كان يحتاج في هذا العزم الى متصورات جديدة،... ابتدع من أجلها كلمات من منبته.." [2] والهدف من وراء ذلك هو تخصيص النظرية له دون غيره حتى أن " آرت فان زويست (van soest) يصل الى قناعة مفادها أنه من خلال استعمال الكلمات التي أشار اليها بيرس يمكن أن نعرف العلاماتي **البيرسي** ونميزه عن غيره من العلاماتيات" [3].

على غرار **بيرس** يحدد **جاكبسون** مفهوم السيميائيات بأنها العلم الذي يدرس كل ماهو كائن من إشارات وطريقة استخدامها بما يمكن أن يستفاد منه، يقول:" تتناول [السيميائيات] المباديء العامة التي تقوم عليها بنية كل الإشارات أيّا كانت، كما تتناول سمات استخدامها في مرسلات وخصائص المنظومات المتنوعة للإشارة ومختلف المرسلات التي تستخدم مختلف أنواع الإشارات " [4].

يحيل القول الى فكرتين رئيستين أولاهما أن السيميولوجيا تتناول كل الاشارات بما في ذلك اللغة كمجموعة من الرموز الدّالة، كما تتناول كيفية استخدام

---

[1] آرت فان زويست، التأويل والعلاماتية، إعداد وترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ، ط 1، 2004، ص35.

[2] التأويل والعلاماتية، (مر جع سابق)، ص 35.

[3] نـــفـــسه، ص 35.

[4] دانيال تشاندلر: أسس السيميائية، (مرجع سابق)، ص32.

هذه الاشارات وطريقة انتظامها حتى تؤدي وظيفة معينة هي التواصل**، وتقوم أساسا على ستة عناصر يحصرها في:

1- المرسل(Destinateur) أو الباثّ(l'émetteur) أو المخاطب او الناقل أو المتحدث.

2 - المرسل إليه (le destinateur) أو المستقبل:(le récepteur)

3 - الرسالة(le message) .

4 - السَّنَن(code) أو اللغة (language) أو النظام (système) أو الكفاية (compétence):[1].

وعليه، فإن كثيرا من النصوص والخطابات والصور والمكالمات الهاتفية عبارة عن اشارات يرسلها المرسل إلى مرسل إليه.

غير أننا يجب أن نركز على شيء آخر قد يبدو في نظرنا على الأقل ذا أهمية كبيرة لم يتطرق اليه **رومان جاكبسون**(Roman_Jakobson) ألا وهو قضية الإدراك أي إدراك هذه الإشارات من طرف المرسل إليه، بما يمكن أن يجعل عميلة التواصل تتم على أكمل وجه.

** إن الاهتمام بهذا الجانب تولد عنه اتجاه في السيميائيات يعنى -أساسا- بالوظيفة الخاصة بالبنيات السيميوطيقية (أي التواصل Communication يقول ميتز: " تقترح سيميولوجيا التواصل – مبدئيا- دراسة اللغات التي أسْميتها في موضع آخر "المتخصصة" (Spécialisés)؛ أي دراسة عدد من الحقول حيث اللغةُ والسنن/الشفرة (Code) يختلطان مؤقتا، قبل أن يتقلص العمل الاجتماعي للغة كلها -عمليا- إلى سَنَن واحد". انظر: Christian METZ .: Essais sémiotiques, éd klincksieck , Paris, 1977, P 13

[1] ياكبسون، رومان- قضايا الشِّعريَّة، ترجمة: محمَّد الولي ومازن حنون، ط1، دار توبقال، الدَّار البيضاء، المغرب، 1988م، ص(27).

لا ينفرد **رومان ياكبسون** بهذا الطرح لوحده وإنما يشاركه فيه مجموعة من النقاد الغربيين، فهذا **لويس برييطو (Luis J. Prieto)**يشير الى " إن السيميولوجيا هي العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيّاً كان مصدرها لغويا أم سَنَنيا أم مؤشريا "[1] ، وغير بعيد عن هذا تذهب **جوليا كريستيفا**(Julia Kristeva)في تعريفها للسيميائيات أنها " دراسة الأنظمة الشفوية وغير الشفوية – ومن ضمنها اللغات بما هي أنظمة أو علامات تتمفصل داخل تركيب الإختلافات هي ما يشكل موضوع علم أخذ يتكون، ويتعلق الأمر بالسيميوطيقا" [2].

ما يلاحظ أن المفاهيم السابقة الذكر وان اختلفت في طريقة الصياغة إلا أنها تتفق كلية على فكرة واحدة وهي دور العلامة في الحقل السيميائي سواء تعلق الامر بـ **بيرس** أو **جاكبسون** أو **لويس برييطو** أو حتى **جوليا كريستيفا** تبقى العلامة هي ما يميز الدرس السيميائي، من حيث كنْهُها وطبيعتها، كما تسعى إلى الكشف عن القوانين المادية والنفسية التي تحكمها، وتتيح إمكانية تمفْصُلها داخل التركيب" [3].

إن هذا الكنه وهذه الماهية قابلة للإدراك بالنسبة لمجموعة محددة من مستعمليها، كما أنها في حد ذاتها ناقصة المعنى تماما إذا أدركها أحد من غير هذه المجموعة [4].

---

1) L.J. Prieto : "La sémiologie", in "Encyclopédie de la Pléiade", le Langage, Paris, 1988, N.R.F, P 93

2)J. Kristeva : Le langage cet inconnu, coll. Points, Paris, 1981, Partie 3,P 292.

3) محمد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، (مرجع سابق)، ص 191.

4) مجدي وهبة ، معجم مصطلحات الادب ، مكتبة رياض الصلح ، بيروت 1983 ط1 ، ص 520.

لقد عرضنا طيلة الصفحات السابقة كيف ان مفهوم السيميولوجيا يرتكز أساسا حول العلامة وما لها من دور في تسهيل عملية التواصل ونظن أنه آن الأوان كي نستفسر عن فحوى هذه الأخيرة فما العلامة *** وما دورها في عملية التواصل ؟

يعرف **دي سوسير** العلامة بأنها " وحدة ذات طبيعة نفسية، ثنائية المبنى أي لها وجهين هما عنصراها المشكلان لها، وهما شديدا الصلة والارتباط كلّ منهما مكمل للآخر، ونسمي التأليف الحاصل بين التصور والصورة السمعية بالعلامة، ونقترح الاحتفاظ بلفظ (علامة) كدلالة على المجموع الكلّي ،وإبدال التصور والصورة السّمعية بلفظي المدلولSignifie والدال Signifiant"[1].

وفي هذا الاطار يرى **مبارك حنون** أن " العلاقة بين الدال والمدلول كصورة صوتية ، والمدلول كمفهوم أو معنى، لا تقوم على المشابهة والتناسب، وإلا لما تعددت اللغات، بل تقوم هذه العلاقة على الاعتباطية Arbitraire اذ لا توحي الدوال بمدلولاتها بشكل تلقائي وطبيعي، كما أن العلامة **السوسيرية** هي علاقة تجريدية، ومفهوم محايد إذ تلغي الذات والايدولوجيا وعليه فإن **سوسير** اهتم بإنتاج العلامة لا بالتعبير عنها"[2] وهو ما يبين أساسا ارتباط العلامة لدى **دي سوسير**

*** لم نشأ التفصيل والإطالة في تعريف العلامة وتاريخها ذلك أننا وجدناها منتشرة في عديد الكتب أنظر للتوسع أكثر: أمبرتو ايكو: العلامة تحليل المفهوم ، ترجمة سعيد بن كراد ، مراجعة، سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2 2010، ص 36.

[1] Saussure Ferdinand de cours de linguistique générale , éd payotheque ,paris,1979, p99.

[2] حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دارتوبقال المغرب ط 1 1987، ص 37 / 38.

بمدى مطابقة الدال للمدلول حيث العلاقة اعتباطية وهو دحض صريح لفكرة تطابق الاشياء مع الكلمات ذلك أن العلاقة بينهما هي عبارة عن تصور ذهني بحت.

يرى جملة من الدارسين أن تأثير المنطق واضح على التفكير **البيرسي** في جميع كتاباته ومنه " فمن الصعب أن نفهم دراسته للعلامة لأنها وردت في سياق منطقي دقيق يعتمد كثرة التفريعات والتقسيمات ... ومع ذلك يمكن القول أن بيرس يعرف الدليل بأنه عبارة عن شيء يعوض شيئا معينا بالنسبة لشخص معين، أي أنه يخلق في ذهن الشخص دليلا معادلا أو دليلا أكثر تطورا يسميه "**بيرس**" مؤولا interpretant للدليل الأول، ويعوض هذا الدليل شيئا معينا يسميه " بيرس " (موضوع الدليل) (objet de signe)" [1].

من هذا المنطلق جاء تقسيم بيرس للعلامة إلى ثلاثة مستويات[2] :

1- الأيقونة (Icone)، وهي العلامة التي تحيل الى الشيء الذي تشير إليه بفضل صفات تمتلكها خاصة بها وحدها، مثل الصورة الفوتوغرافية.

2- المؤشر (Index)، وهو العلام التي تدل على الشيء الذي تشير اليه بفضل وقوع هذا الشيء عليها في الواقع مثل الاعراض الطبية التي تشير الى وجدود علة عند المريض، والآثار والطرق على الباب وغيرها.

---

[1] نـــفسه، ص 82

[2] سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، مدخل الى السيميوطيقا، دار التنوير، تونس ط1، 2014 ص 169 وما بعدها وانظر أيضا: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير (مرجع سابق)، ص 189 وما بعدها.

3- الرمز (Symbol) وهو العلامة التي تحيل الى الشيء الذي تشير اليه بفضل قانون غالبا ما يعتمد على التداعي بين أفكار عامة، ويطلق عليه " **بيرس**" اسم العادات والقوانين، وهي عنده أكثر العلامات تجريدا، وما يلاحظ في هذا المستوى أن العلاقة بين الدال والمدلول أو المشار اليه هي علاقة عرفية وغير معللة، مثل البياض ودلالته على الفرح أو الحزن، وهذا من الرموز التي تدرسها الانثروبولوجيا.

إن أول ما يلاحظه القارئ على هذا التقسيم **البيرسي** إن صح التعبير أنه مخالف تماما لما كان قد قام به **دي سوسير** حيث العلامة هي دال ومدلول في حين هي عند " **بيرس** " أيقونة ومؤشر ورمز وفي هذا يطالعنا السؤال عن كيفية تشكل المعنى والدلالة فيما أشار اليه ولعل الإجابة نجدها ماثلة فيما أشار اليه **سعيد بنكراد** في طرحه لفكرة ما يسمى بالسيميوزيس(Simiosis) بحيث تتكون العلامة عند **بيرس** من ماثول (Représentmen) يحيل على موضوع (Objet) عبر مؤول (Interprétant) والسيموزيس هو هذا "النشاط " الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها، وهو المسؤول أيضا عن إقامة العلاقة القائمة بين هذه المفاهيم الثلاثة أنه سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة ويستدعي استيعاب الكون من خلال ثلاث مستويات ما يحضر في العيان وما يحضر في الأذهان وما يتجلى من خلال اللسان "[1]، ثم إذا كان هذا " الماثول يشتغل كأداة نستعملها في التمثيل لشيء آخر فإن الموضوع هو ما يقوم الماثول بتمثيله سواء كان هذا الشيء

[1] سعيد بنكراد، السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها (مرجع سابق)، ص 61.

الممثل واقعيا أو متخيلا أو قابلا للتخييل أو لا يمكنه تخيله على الإطلاق" أما المؤول فيعتبر "ثالث عنصر داخل نسيج السيموزيس"، وهو عمادها وبؤرتها الرئيسية إذ أنه يشكل التوسط الإلزامي الذي يسمح للماثول بالإحالة على موضوعه وفق شروط معينة" [1].

يشير **سعيد بنكراد** في بداية كلامه الى مكونات العلامة لدى "**بيرس**" والتي هي الماثول والموضوع وعبر المؤول، وهذه العناصر تؤدي ما اصطلحنا عليه سابقا بالسيميوزيس وهو ما لا يخرج عن الإطار العام الذي رسمه " **بيرس**" لهذه الاخيرة في اثناء تعريفه لها بحيث لا تعدوا أن تكون شيئا ما يمثل شيئا ما ،بالنسبة لشخص ما، بمظهر ما، أو امكانية ما " [2]

غير أننا نرى أنه من الواجب علينا وقد تردد ذكر هذه المكونات أن نتعرض بشيء من التعريف لها، حتى تتكون لدى القارئ فكرة عنها بما يضعه في الإطار العام للموضوع.

1- الممثل أو الماثول Representant:

إن العلامة أو الماثول هي شيء يعوض بالنسبة لشخص ما شيئا ما بأية صفة أو بأية طريقة إنه يخلي عنده علامة موازية، أو علامة أكثر تطورا. إن العلامة التي يخلقها أطلق عليها مؤولا للعلامة الأولى وهذه العلامة تحل محل

---

[1] نفسه، ص 67.

[2] C.S.pierce, Ecrits sur le signe, tr, G,delledale, ed, seul , paris, 1978, p 126.

شيء موضوعها [1] وهي تتفرع الى أقسام يجملها صاحب معجم السيميائيات [2] في:

أ- علامة نوعية (كيفية)

ب- علامة متفردة (تفردية)

ج- علامة عرفية (قانونية)

2- الموضوع Objet:

ينظر بيرس الى الموضوع على أنه " المعرفة التي تفترضها العلامة لكي تأتي بمعلومات اضافية تخص هذا الموضوع " [3]، كما ينقسم الموضوع تماما كالماثول إلى ثلاثة أقسام[4] وهو الآخر جزء من العلامة ويمكنه الاشتغال كعلامة وعلى المرسل والمرسل اليه ان يكونا على معرفة سابقة بموضوع ما حتى تتم عملية الحوار والموضوع المباشر هو الموضوع الماثل امام أعيننا على وجوده مباشرة، كإحالتنا على شجرة وله ثلاث علامات :

أ- علامة أيقونية

ب- المؤشر

ج- الرمز

---

[1] سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ،منشورات الزمن، المغرب ط1 2003، ص 80.

[2] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2010، ص 48 وما بعدها.

[3] سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها (مرجع سابق)، ص 82.

[4] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات (مرجع سابق)، ص52.

3- المؤول Interprétant:

هو المتوسط الألزامي الذي يحيل الماثول الى موضوعه وفق شروط وهذا القانون يحد من اعتباطية العلامة وله هو الاخر ثلاث علامات :

أ- العلامة الحملية الخبرية

ب- العلامة التفصيلية

ج – العلامة البرهانية[1]

إن ما يمكن أن نستخلصه مما سبق هو مجموعة من الفروقات الموجودة بين معطيات " دي سوسير" حول العلامة ومعطيات " **بيرس**"[2].

1- إنطلاقة " **دي سوسير**" المنهجية كانت لغوية لسانية – الدال والمدلول- خصوصا أما " بيرس "، فمنطلقه فلسفي منطقي أي أن سيميولوجية **سوسير** لغوية جزئية وسيميائية بيرس كونية شاملة، فهو يرى أن الكون رمز كبير وكل ما تحت قبة هذا الكون الفسيح رمز وأن العلم الوحيد الذي يدرس هذه الرموز هو علم السيميائيات.

2- العلامة عند " **دي سوسير**" ثنائية المبنى تتكون من دال ومدلول، أي: تجمع بين الصورة العيانية والصورة الذهنية ولا تجمع بين الشيء ومسماه (الاعتباطية)، في حين أنَ العلامة عند " بيرس" ثلاثية المبنى تتكون من الممثل (المحمول Interpretant)، والرابطة(الوسيلة Connective)، والموضوع (Object) وهي مبنية على قاعدة رياضية تقول: إنَ كل نظام لابد أن يكون

[1] العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، (مرجع سابق)، ص 190 / 191.

[2] عواد علي، معرفة الأخر، مدخل الى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي ط 1 1990 ص 73.

ثلاثيا.

3- أكدَ "**دي سوسير**" بشكل كبير أهمية العلامة داخل نظامها في النص، دون الارتباط بعالم المرجعية خارج النص، ودرس اللغة من خلال وصفها نظاماً أجزاؤه مرتبطة فيما بينها، في حين أكدَ " **بيرس** " أهمية العلامة في علاقتها بعوالم ثلاثة: (عالم الممكنات . المقولة الأولانية، وعالم الموجودات . المقولة الثانيانية، وعالم الواجبات . المقولة الثالثانية)، وقد استمد " **بيرس** " هذه المقولات من مقولات الظاهراتيـة: (فلسفة الكائن، ومقولة الوجود، ومحاولة الفكر لتفسير الظواهر.

4- العلامة عند **سوسير** لغوية – حصراً – وتمتاز بكونها تباينية واعتباطية في علاقة دالها بمدلولها، أما العلاقة عند بيرس فهي لغوية وغير لغوية.

5- تتحدد العلامة بعلاقة الدال والمدلول، ويتحدد الرمز بعلاقة المرموز والمرموز له، ولا تحوي العلامةُ الرمزَ عند **سوسير**، أما عند بيرس فالعلامة تتحدد بعلاقة الحامل مع المحمول مع الموضوع، فضلاً عن علاقة الآيقون والرمز والإشارة، بمعنى أنَ العلامة عند بيرس تحوي الرمزَ ويشكل جزءاً منها.

6- علامة **سوسير** هي أساس السيميولوجيا (Semiology)، وتعدّ جزءاً من علم النفس (Psychology)، أما علامة **بيرس** فهي أساس السيميوطيقا (Semiotic)، وتعد جزءاً من علم المنطق (Logicology)

7- تشكل اللسانيات جزءاً من السيميائية عند **سوسير** لأن اللغة فعل سيميائي ،في حين تشكل المقولات الفلسفية عن الوجود والعالم صورة التحليل السيميائي عند **بيرس**.

السيميولوجيا / السيميائية، قراءة في المصطلح:

تبدو الفترة الزمنية التي ظهرت فيها السميائيات فترة غير كافية مقارنة بالحبر الكثير الذي أسالته وخصوصا فيما يتعلق بالمصطلح على اعتبار كما اشرنا سابقا أنه حجرة العثرة التي تقف في طريق الباحث، ولا غرو في ذلك فالواقع النقدي يؤكد ما ذهبنا اليه سابقا سواء ما تعلق بالبيئة الحاضنة التي احتوت المصطلح فقد بدا الاختلاف واضحا بين زعماء هذا المنهج النقدي حيث " ما برح القلق الاصطلاحي يثير جمهور هذا العلم وهم الذين اجتهدوا في بناء الانموذج العلمي لبرامج بحوثهم وفق افتراضات أسست على عدم التسليم بمبدأ عدم التناقض [1]. وهو ما يدفعنا الى التساؤل عن كنه هذا القلق الاصطلاحي خصوصا وأننا نتكلم عن بلد المنشأ لهذه النظرية، ذلك أنه " وبخلاف ما ارتآه **يلمسليف** يقترح ب- **بودون** منظورا يبدو وجيها [2] إلى حد ما، ويلتقي مع أدبيات روسي **لاندي** السيميائية في هذه المسألة... إذ أن السيميولوجيا تضطلع بالتحليل الدقيق للعلامات التي لها صلة بالخطاب، أما السيميوطيقا، فهي التي تقف على دراسة انساق العلامات الدالة مع الأخذ في الحسبان أبعادها الاجتماعية والثقافية " [3]

---

[1] أحمد يوسف تاثير الجلوسيماتيا في النظرية السيميائية عالم الفكر، الكويت، العدد 3 المجلد 38 يناير مارس 2010 ص 331 .... وانظر أيضا : Louis Hjelmslev, Prolégomènes à une théorie du langageop. cit., p. 25

[2] يبدو المنظور المشار أليه أعلاه وجيها من وجهة نظر الناقد أحمد يوسف وليس من وجهة نظرنا ذلك أن هذا الأخير برع في هذا المجال (السيميائيات)؛ حيث يعد مرجعا هاما للباحثين وخصوصا قضية البداية الاولى مع الفلاسفة اليونانيين والرواقيين.

[3] تأثير الجلوسيماتيا (مرجع سابق)، ص .236

إن ربط السيميولوجيا بالتحليل الدقيق للعلامات والسيميوطيقا بدراسة الانساق الثقافية والاجتماعية كان ليكون مما يعتد به لولا خلوه من معارضة شكلية **ليلمسليف** لهذا الرأي وهي أن " يحتفظ المصطلحان بمشروعيتهما في الاستعمال ....(طبعا) مع تحديد مجالات هذين الفرعين من المعرفة السيميائية، فصارت السيمولوجيا تمثل النظرية العامة لكل مجالات السيميائيات (sémiotique) التي تنضوي تحتها، بل هي تسعى من منظور " **بارت** " إلى تطهير اللسانيات وتصفية الخطاب ،مما يعلق به [1]وهذه العوالق دائما حسب " **بارت** "؛ هي التي تعيق فهم هذا الحقل المعرفي بما تنتجه من" الرغبات والمخاوف والإغراءات والعواطف والاحتجاجات والاعتذارات والاعتداءات والنغمات وكل ما تنطوي عليه اللغة الحية "[2] دون التطرق أساسا لما يوجد من فروقات لغوية سواء ما تعلق منها على مستوى شكل التعبير والذي يضعه **يلسملف** في خانة السيميائيا الواصفة أو على مستوى شكل المحتوى والذي يشير اليه **يلمسلف** دائما بالسيميائيات الواصفة أي التي تصف الخطاب حيث هذين المستويين عماد كل سيميائية علمية أو غير علمية [3].

إن هذا الاضطراب والاختلاف في استعمال المصطلح لم يكن ليغيب عنه واحد من النقاد الذين كان جل اشتغالهم على السميائية ألا وهو **غريماس** الذي أراد بكل الوسائل والطرق أن يتخلص من فكرة غياب وحدة المصطلح ف " رأى أن

---

[1] نـــفـــسه، ص 236.

[2] رولان بارث، درس السيميولوجيا تر، بنعبد العالي، تق/ عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر المغرب ط2 1986 ص 22.

[3] تأثير الجلوسيمياتيا (مرجع سابق)، ص 250.

السيميائية/Sémiotique بنزوعها الكوني تختص بعالم الطبيعة بينما ينسب السيميولوجيا/Sémiologie الى عالم الانسان حيث تكون علوم الطبيعة قابلة للمقارنة بالمستوى اللساني للتعبير من حيث الاوصاف المتصلة بها أما علوم الانسان فهي تقابل مستوى المحتوى " [1].

ولو أن هذه المسالة (توحيد المصطلح) تبدو ظاهريا وكأنها أخذت حيزا كبيرا في بيئة المنشأ، إلا أنها على العكس من ذلك سرعان ما تم تجاوزها الى ما يخدم البحث العلمي بشكل عام والبحث الادبي بشكل خاص ذلك أنه " ينبغي لنا ألا نركز كثيرا على التسميات أكثر من الاهتمام بمشاريع السميائيات، لان السجال بشأن أحقية هذا المصطلح على حساب مصطلح آخر لا يقدم ولا يؤخر في المعرفة شيئا [2] في حين تنشد المعرفة العلمية تطوير العلوم لا الوقوف على خلافات لا يستفاد منها شيئا غير تضييع الجهد والوقت هباء، ومن أجل تحقيق هذا الهدف " اتفق كل من **قريماص**، و**ليفي شتراوس** و**بنفينيست** وتحت تأثير من **رومان ياكبسون** على استعمال مصطلح السيميائيات / Sémiotique، في حين ظل مصطلح سيميولوجيا / Sémiologie متداولا وفاء للغة الفرنسية وثقافتها التي تضرب بجذورها العميقة في تاريخ فرنسا " [3].

---

[1] نفسه ، ص 250

[2] للتوسع أكثر في هذا الجانب يرجى العودة الى مقال أحمد يوسف المذكور سابقا في مجلة عالم الفكر حيث يفصل كيف أنه من خلال هذه النقطة أدرك الحمولة الابستيمولوجية لأسلوب يلمسلف في كتابه المقدمات الذي يتسم بالحسم في المسائل العلمية كونه موضوعا دالا مثلما هو علم اللّسان ....أحمد يوسف تأثير الجلوسيماتيا (مرجع سابق)، ص 256.

[3] رولان بارت درس السميولوجيا (مرجع سابق)، ص21، 22.

إن هذه السرعة في الاتفاق حول مصطلحين لهذا الحقل جاءت لتحقق نتيجة واحدة هي الخروج من نفق الاصطلاح إلى فضاء الاستمرار في الاكتشاف ولا أدل على هذا مما ظهر لاحقا من حقول سيميائية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: سيمياء الأهواء، سيمياء الصورة، سيمياء الإشهار، سيمياء الموضة[1]، بل إننا نذهب في هذه الفكرة أكثر من ذلك لندعي أنه لولا هذا الانتقال، السريع من الاصطلاح الى الاكتشاف لما غزت السميائيات ميادين غير ميدان الأدب ،كما يعد هذا الانتقال السريع ايضا دليلا على اهتمام البيئة الحاضنة بدفع هذا الحقل المعرفي نحو معارف ومكتسبات جديدة حتى تفتح آفاق اكثر جدة.

[1] أنظر في هذا الجانب كتاب : Roland Barthes, LE SYSTEM DE LA MODE, Ed, seuil , paris, 1967.

المراجع والمصادر:

1 – عبد الملك مرتاض: مدخل في قراءة البنيوية مجلة الموقف الأدبي، العدد 342 1999.

2– محمد بلوحي: القراءة النسقية، مجلة كتابات معاصرة العدد39 المجلد (10)،1999.

3– شكري عياد، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين – عالم المعرفة العدد 177– 1993.

4– عبد الرحمن جيران (مفهوم السيميائيات) الحوار الأكاديمي والجامعي، العدد 01، السنة 1 يناير 1988.

5– رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي، انجليزي فرنسي)، دار الحكمة الجزائر 2000 .

6– محمد السرغيني محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البضاء المغرب، ط1 1987 .

7– محمد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلة "عالم الفكر"، الكويت مج 24، ع 3، 1996.

8– زبير دراقي محاضرات في اللّسانيات التاريخية والعامة ،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائري دت.

9– ميجان الرويلي، سعد البازعي ،دليل الناقد الادبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2002،03 .

10– عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب ،من أجل تصور شامل، منشورات الاختلاف، الجزائر .2010

11- تشاندلر دانيال، أسس السيميائية، تر طلال وهبة، مراجعة، ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2008.

12 - سعيد بنكراد، السيميائيات النشأة والموضوع، عالم الفكر، العدد 3 مارس 35، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،يناير / مارس 2003 .

13- آرت فان زويست، التأويل والعلاماتية، إعداد وترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البضاء المغرب، ط 1، 2004 .

14- Christian METZ : Essais sémiotiques, éd klincksieck , Paris, 1977.

15- ياكبسون، رومان- قضايا الشِّعريَّة، ترجمة: محمَّد الولي ومازن حنون، ط1، دار توبقال، الدَّار البيضاء، المغرب، 1988.

16-L.J. Prieto : "La sémiologie", in "Encyclopédie de la Pléiade", le Langage, Paris, 1988.

17-J. Kristeva : Le langage cet inconnu, coll. Points, Paris, 1981, Partie 3.

18- مجدي وهبة، معجم مصطلحات الادب، مكتبة رياض الصلح، بيروت 1983 ط1.

19- أمبرتو ايكو: العلامة تحليل المفهوم، ترجمة سعيد بن كراد، مراجعة، سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2 2010.

20 -Saussure Ferdinand de cours de linguistique générale , éd payotheque ,paris,1979.

21- حنون مبارك ، دروس في السيميائيات، دار توبقال المغرب ط 1 1987، ص 37 / 38.

22- سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، مدخل الى السيميوطيقا، دار التنوير، تونس ط1، 2014.

23- C.S.pierce , Ecrits sur le signe , tr , G,delledale, ed, seul , paris, 1978 .

24- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ،منشورات الزمن، المغرب ط1 2003.

25- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2010، ص 48 وما بعدها.

26- عواد علي، معرفة الأخر، مدخل الى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي ط 1 .1990

27-أحمد يوسف تاثير الجلوسيماتيا في النظرية السيميائية عالم الفكر، الكويت، العدد 3 المجلد 38 يناير مارس 2010 .

28-Louis Hjelmslev, Prolégomènes à une théorie du langage, op. cit.

29-www.squ.edu.com.

30- رولان بارث، درس السيميولوجيا تر، بنعبد العالي، تق/ عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر.

31-Roland Barthes, LE SYSTEM DE LA MODE, Ed, seuil, paris, 1967.